معسكر الكشافة الأهلى برومانيا

- ١ -

دَقَّتِ السَّاعَةُ خَمْساً وَبَدَأَتِ الْبَاخِرَةُ تَتَحَرَّكُ تَارِكَةً مِينَاءَ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَهِيَ تُرْسِلُ صَفِيرَهَا كَأَنَّهُ مِنْهَا آيَةُ الْوَدَاعِ . وَسَادَ السُّكُونُ عَلَى ظَهْرِ الْبَاخِرَةِ ، فَمَا كُنْتَ تَرَى الْمُسَافِرِينَ إِلاَّ صَامِتِينَ يُلَوِّحُونَ بِأَيْدِيهِمْ وَمَنَادِيلِهِمْ لِمَنْ حَضَرُوا لِوَدَاعِهِمِ مِنَ الأَقْرِبَاءِ وَالأَصْدِقَاءِ .

وَلَمْ يَشِذَّ عَنْ هٰذَا الصَّمْتِ وَيَقْطَعْ ذٰلِكَ السُّكُونَ إِلاَّ ثَمَانِيَةُ أَفْرَادٍ لَبِسُوا زِيَّ الْكَشَّافَةِ وَانْتَظَمُوا صَفًّا وَاحِدًا ، ثُمَّ أَشَارَ رَئِيسُهُمْ ، فَانْطَلَقُوا يُنْشِدُونَ :

« بِلَادِي ، بِلَادِي ، فِدَاكِ دَمِي ،
وَهَبْتُ حَيَاتِي فِدًى ، فَاسْلَمِي !
غَرَامُكِ أَوَّلُ مَا فِي الْفُؤَادْ ،
وَنَجْوَاكِ آخِرُ مَا فِي فَمِي .
سَأَهْتِفُ بِاسْمِكِ مَا قَدْ حَيِيتُ :
تَعِيشُ بِلَادِي وَيَحْيَا الْوَطَنْ . »

وَكَانُوا كُلَّمَا انْتَهَوْا مِنْ قِطْعَةٍ مِنْ ذٰلِكَ النَّشِيدِ انْتَقَلُوا إِلَى الْقِطْعَةِ الثَّانِيَةِ : وَرُكَّابُ الْبَاخِرَةِ كُلُّهُمْ مُعْجَبُونَ بِجَمَالِ الْمَعْنَى ، مُتَأَثِّرُونَ بِمَا يَبْعَثُهُ الْغِنَاءُ فِي نُفُوسِهِمْ مِنْ حَمَاسٍ ، حَتَّى إِذَا وَصَلُوا فِي النَّشِيدِ إِلَى نِهَايَتِهِ وَغَنَّوا مُتَحَمِّسِينَ :

بِلَادِي بِلَادِي إِذَا الْيَوْمُ جَاءَ ،
وَدَوَّى النِّدَاءُ ، وَحَقَّ الْفِدَاءُ .
فَحَيِّ فَتَاكِ ، شَهِيدَ هَوَاكِ ،
وَقُولِي سَلَامًا عَلَى الأَوْفِيَاءِ ،
سَأَهْتِفُ بِاسْمِكِ مَا قَدْ حَيِيتُ
تَعِيشُ بِلَادِي وَيَحْيَا الْوَطَنْ . »

هَتَفَ الرُّكَّابُ مَعَهُمْ وَصَفَّقُوا لَهُمْ وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ يَتَسَاءَلُونَ : تُرَى ، مَا هٰذَا الْغِنَاءُ الْجَمِيلُ الَّذِي يُغَنِّيهِ هٰذَا النَّفَرُ مِنَ الشَّبَابِ فِي نِظَامٍ وَإِتْقَانٍ فَيُحَرِّكُونَ بِهِ الْحِسَّ وَالشُّعُورَ ؟ تُرَى ، مَنْ يَكُونُ هٰؤُلَاءِ الْكَشَّافَةُ ، وَإِلَى أَيِّ نَاحِيَةٍ مِنَ

نواحي العالم يقصدون ؟ ترى ، كيف يعيش هؤلاء الرجال الذين شهدهم الناس على طوار (رصيف) الميناء ، يحملون أمتعتهم على أكتافهم ويعتمدون على أنفسهم فى رفعها ونقلها هشين بشين متعاونين ؟ هكذا كانت أسئلة الناس

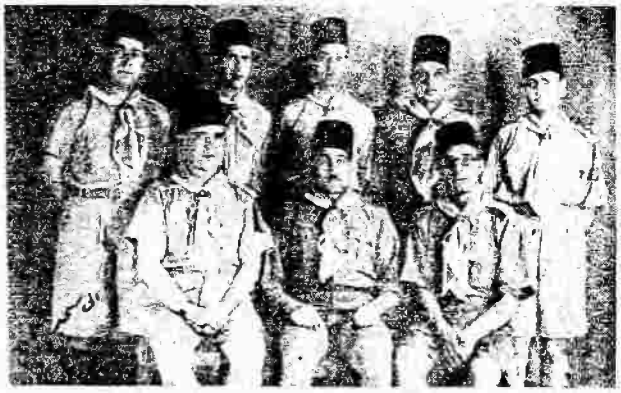

أعضاء معسكر الكشافة الاعلى برومانيا

حين اجتمعوا حولنا . ولعلك يا صديقي الكشاف تسأل معهم هذه الأسئلة . ولذلك فانا مضطر إلى أن أجيب : أما النشيد فهو «نشيدنا القومي» الذي ظهر منذ شهور ، والذي ينبغي أن تجيد حفظه وتعرف تلحينه ، لتشترك مع بني وطنك فيه ، حين يغنون . وأرجو ألا تحسب ذلك النشيد من الأغاني العادية التي لا تستحق الاهتمام . لا ! ! وإنما « النشيد القومي » غناء يجب أن تحترمه إلى درجة التقديس ، وأن تتقنه حفظا وإنشادا ، هو غناء يعبر عن حماس الوطني ويصور لك عظمة بلدك وأمل أمتك . هو أول ما يجب أن ترتفع به أصوات الناس في كل اجتماع ، وآخر ما يجب أن يختتم به أعمالهم . كل فرد في العالم يعرف نشيده القومي ، تلقنه له أمه وهو صغير ، وتمرنه عليه مدرسته وهو تلميذ ، فيترنم به في كل حفل ، ويتغنى به في كل مكان . احفظه إذن وافخر به ، وعلمه لإخوانك ، وحاذر أن تغنيه مازحا ، أو تسمعه ساخرا ، بل قف له كلما سمعته ، واشترك مع المنشدين في الإنشاد.

والآن انتقل معي إلى هؤلاء الثمانية الذين حدثتك عنهم ، والذين أوجدوا بين الركاب روح الحماس وبعثوا فيهم الفرح والسرور :

هم جماعة من الأصدقاء مثقفون متعلمون منهم الأستاذ المدرس ، وأكثرهم مهندسون ، يعيشون في بيوتهم عيشة النعيم ، ينامون على فرش وثيرة ، ويأكلون على موائد منمقة ، وفي استطاعتهم ألا يعملوا بأيديهم شيئا ، بل يقوم بالعمل عنهم خدام يؤمرون . لكن مبادىء

الْكَشَّافَةِ الَّتِي تَعَلَّمُوهَا مِنْ صِغَرِهِمْ، قَدْ بَرْهَنَتْ لَهُمْ عَلَى أَنَّ الرُّجُولَةَ فِي الِاعْتِمَادِ عَلَى النَّفْسِ، وَأَنَّ فِي حَيَاةِ الْخُشُونَةِ لَذَّةً كُبْرَى، وَأَنَّ الْبَسَاطَةَ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَلْبَسِ وَالنَّوْمِ تُرَوِّضُ النَّفْسَ عَلَى الْقُوَّةِ وَالْعَزِيمَةِ، وَتُكْسِبُ الْجِسْمَ صِحَّةً وَكَمَالًا.

وَالْآنَ دَعْنِي أَدْعُوكَ إِلَى حُجْرَةِ الطَّعَامِ الَّتِي كَانَ هَؤُلَاءِ الْكَشَّافُونَ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَأَمَلِي أَنْ تَقْبَلَ الدَّعْوَةَ، وَأَنْ تَنْتَقِلَ مَعِي فِي نَوَاحِي الْحُجْرَةِ وَنَجْلِسَ مَعِي عَلَى مَائِدَةِ الطَّعَامِ.

هِيَ حُجْرَةٌ لَا سَقْفَ لَهَا وَلَا جُدْرَانَ، يُدَاعِبُهَا الْهَوَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَيَصِلُهَا مَاءُ الْبَحْرِ إِذَا عَلَتْ فِيهِ الْأَمْوَاجُ. كَرَاسِيُّهَا الْوَثِيرَةُ غِطَاؤُهَا مِنَ (الْمُشَمَّعِ) تُفْرَشُ بِهِ الْأَرْضُ، وَيَتَّخِذُ الْكَشَّافَةُ عَلَيْهِ مِنْ حَوْلِ الْمَائِدَةِ مَكَانًا مُرِيحًا، وَالَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ الْخِدْمَةَ وَيَقُومُونَ بِإِعْدَادِ الطَّعَامِ، خَدَمٌ غَايَةٌ فِي النَّظَافَةِ، وَأُنَاسٌ لَا يَحْلُمُ الْمُلُوكُ بِخُدَّامٍ مِثْلِهِمْ فِي أَرْقَى الْقُصُورِ. هُمْ هَؤُلَاءِ الْأَسَاتِذَةُ وَالْمُهَنْدِسُونَ أَنْفُسُهُمْ، قَسَّمُوا الْخِدْمَةَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَهُمْ خَادِمُونَ، وَمَخْدُومُونَ، وَأَنْتَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي دَوْرِ خِدْمَتِكَ مَسْئُولٌ — تُمِدُّ الطَّعَامَ، وَتَفْرُشُ الْأَرْضَ وَتُنَظِّمُ الْمَائِدَةَ وَتُحْضِرُ الْمَاءَ.. ثُمَّ تَتَوَلَّى بَعْدَ انْتِهَاءِ الْأَكْلِ عَمَلِيَّةَ التَّنْظِيفِ وَالْغَسِيلِ وَالتَّجْفِيفِ، وَلَا تَسْلَمُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذَا كُلِّهِ مِنْ نَقْدِ الرَّئِيسِ سَاعَةَ التَّفْتِيشِ.

وَالْمُصِيبَةُ كَبِيرَةٌ إِنْ وَجَدَ الرَّئِيسُ عَلَى الْأَرْضِ «فَتْفُوتَةَ» خُبْزٍ أَوْ بَذْرَةَ عِنَبٍ أَوْ عُودًا مِنَ الثِّقَابِ. وَلَا عُذْرَ لَكَ إِنْ وَجَدَ الرَّئِيسُ صَحْنًا غَيْرَ نَظِيفٍ. أَوْ أَمْسَكَ شَوْكَةً فَلَمْ يَجِدْ مَا بَيْنَ أَسْنَانِهَا لَامِعًا بَرَّاقًا. كُلُّ شَيْءٍ سَتُحَاسَبُ عَلَيْهِ حِسَابًا عَسِيرًا. وَسَيَكُونُ جَزَاؤُكَ عَلَى أَوَّلِ إِهْمَالٍ، أَنْ تَسْتَمِرَّ فِي دَوْرِ الْخِدْمَةِ حَتَّى يُصْلِحَكَ التَّمْرِينُ، وَحَتَّى تُعَلِّمَكَ «الْمَرْمَطَةُ» كَيْفَ يَكُونُ الِاهْتِمَامُ وَالْإِتْقَانُ.

وَهَلْ فِي ذَلِكَ أَقَلُّ عَيْبٍ؟ أَمْ هَلْ تَشْعُرُ بِخَجَلٍ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْحَيَاةِ؟ لَا. بَلْ إِنِّي أَظُنُّكَ تَقُومُ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْعَمَلِ رَاضِيًا. وَتَسْمَعُ أَوَامِرَ رَئِيسِكَ وَتُنَفِّذُهَا هَشًّا صَاحِكًا. وَإِنَّكَ لَتَنْتَظِرُ دَوْرَ زَمِيلِكَ فَتُدَاعِبُهُ فِي دَوْرِهِ كَمَا دَاعَبَكَ.

وَالطَّعَامُ!! الطَّعَامُ!! مَا هُوَ؟ وَمَا طَعْمُهُ؟ وَكَمْ فِيهِ مِنْ أَشْكَالٍ وَأَلْوَانٍ؟ ذَلِكَ حَدِيثٌ شَهِيٌّ لَذِيذٌ، مَوْعِدُنَا بِهِ الْعَدَدُ الْقَادِمُ، وَإِلَى اللِّقَاءِ!

(يتبع)

عمار — عبوال